المؤلف كلاما سجله لينين على لسان سيسيل رودس ، احد دعاة الاستعمار ، حول الوضع المتفجر في أوروبا ، بعد أن كثرت البرجوازية عن انيابها أمام مطالب البروليتاريا [يقول رودس اذا كنتم تريدون تجنب الحرب الاهلية فعليكم ان تصبحوا امبرياليين] (ص ٩٤) . وقام كبار أقطاب المال اليهود من امثال مونيفيري والبرت كوهين وكل من آل روثشلد وفولد وغيرهم ، [بتأسيس جمعية هدفها استعمار فلسطين] (ص ٩٢) . وحولت هذه الدعوة الى دعوة ايديولوجية بكتابات هس حيث يقول في كتابه المذكور موجها كلامه الى اليهود [تحولوا الى مثقفي (بكسر القاف) القطعان العربية المتوحشة ومثقفي الشعوب الافريقية] (ص ٩٧) . لنا ملحوظة واحدة على هذا الفصل فان المؤلف يمهد به ليصبه في مقولة تنسجم مع سياق « رؤيته » للمسالة اليهودية ، وهذه المقولة تشير الى ان البرجوازية اليهودية أخذت تتحرك ضمن [طابع قومي برجوازي] (ص ٩٩) . ونحن لا نتفق مع المؤلف على هذه المقولة النهائية ، وان كنا نؤيد ان البرجوازية اليهودية ادركت مصالحها الوفيرة ، كبرجوازية ، في استعمار فلسطين وخلق أسواق خاصة بها ، ذلك ان الوعي القومي يتطلب روابط اخرى مثل اللغة والتاريخ والمصير المشتركين ، ولم تتوفر هذه الشروط أبدا لليهود ، بل بالعكس [ان القادة الصهاينة كانوا يشعرون بخطر تعرض دعوتهم الى الفشل والانهيار بسبب اتساع الحركة الاندماجية كما تقول بديعه امين(١٢)] . ثم ان [أي دراسة جدية لقضية ما ، لا يمكن ان تتوصل الى نتائج مرضية ، اذا لم تأخذ بعين الاعتبار جميع الظروف والملابسات ، سواء أكانت اقتصادية او سياسية او ثقافية تكتنف تلك القضية(١٣)] ، وهذا ما لم يتطرأ اليه المؤلف الا بشكل طفيف وعابر ، لا يبرهن على تأكيداته حول الطابع القومي ، ومن هنا فانه ليس من المعقول « ان نقبل قول هرتزل من ان اللاسامية هي ثمرة تحرر اليهود »(١٤) ، ثم هل يمكننا اعتبار الصهيونية على انها الحركة القومية للبرجوازية اليهودية ، في اوروبا ، كما يعتقد الدكتور العظم ، ام ان الحركة الاستعمارية هي التي خلقت الحركة الصهيونية(١٥) ولنذكر هنا ايضا موقف لينين من حق الشعوب في تقرير مصيرهم ، ورفضه القاطع ، في ذات الوقت ، اعطاء [الاستقلال الذاتي للحزب الرجعي اليهودي المسمى بالبوند](١٦) ورفض الحزب البلشفي الاعتراف بالبوند بوصفه الممثل الوحيد للبروليتاريا اليهودية(١٧) ، ولو كان لينين رأى في ذلك الاستقلال استقلالا حقيقيا لحزب يعبر عن شعب في وضع قومي ، لتغير موقفه تغيرا تاما .

الفصل الرابع : الحركة الصهيونية : في هذا الفصل يرسم المؤلف الملامح العامة لتبلور كل من النظرية والحركة الصهيونية المنظمة في اطار [قومي برجوازي واضح] (ص ٩٩) ، ويؤكد ان كتاب ليو بنسكر « التحرر الذاتي » ، [عبر فيه من تبلور الاتجاه القومي ، كما فعل هرتزل في كراسه الدولة الصهيونية] (ص ١٠١) على الرغم من ان المؤلف يرى المشروع الصهيوني أكثر فائدة [لليهود المندمجين « ويعني بالتحديد الطبقة البرجوازية » اكثر من المواطنين اليهود المؤمنين لانهم سيتخلصون بذلك من مزاحمة البروليتاريا اليهودية المزعجة] (ص ١١٠) ، لذلك فان تشامبرلين ، الذي كان معروفا بمواقفه العرقية ، وبقيادته للحملة الداعية [الى سن القوانين العنصرية الموجهة ضد المهاجرين اليهود الى بريطانيا ، اظهر نفسه في البرلمان البريطاني ، من أكثر الناس حماسة للصهيونية ، حيث كال المديح لهرتزل وأعلن اقتناعه بالحل الصهيوني المقترح للمسالة اليهودية] (ص ١٣٠) . وهذا الموقف بعينه ينطبق ، يومها [على اللورد آرثر بلفور الشهير] (ص ١٣٠) . وهكذا ايضا استفادت الحركة الصهيونية من النزعة اللاسامية في دفع اليهود نحو الالتحام بها ، كما فعل فلاديمير جابوتنسكي الذي ناوض اعداء الثورة البلشفية الذين [سيرتكبون المذابح ضد اليهود مهما كانت الظروف] (ص ١٣٧) والمحور المركزي الذي كانت تدور حوله مفاوضات هرتزل واتصالاته بالحكومات الاوروبية [هو التعاون العملي بين الحركة الصهيونية والدول المعنية ، لتتخلص من عناصر الشعب اليهودية الممثلة بالمناضلين والاشتراكيين المثقفين ، كذلك تعزيز قدرة الدولة المقصودة ، وتوسيع سيطرتها ، الا ان هرتزل الذي كان يفضل حماية الامبريالية الالمانية ، كان يدرك في نفس الوقت ان الدولة المرشحة اكثر من غيرها للقيام بهذه المهمة هي بريطانيا] (ص ١٥٣) ، وبهذا انتهى الامر بصدور وعد بلفور عام ١٩١٧ أي